إكليل موسيقى على جثة بيانو

الشعر حين يعرّي أقنعة التاريخ

عيسى حسن الياسري
مونتريال - كندا

في مجموعته الشعرية الجديدة « إكليل موسيقى على جثة بيانو » يحقق الشاعر « جواد الحطّاب » ثنائية شعرية مدهشة .. هذه الثنائية تتجسد بإصغاء الشاعر إلى صوت القلب المفعم برومانسيته.. وعذوبة موسيقاه .. وبساطته التعبيرية عن أشواقه ..وانكساراته عبر دروب الحياة ..وبين انشغاله بتأثيث قصيدته بطريقة إبداعية تحافظ على بنيتها التشكيلية .. واستعاراتها ورموزها الإيحائية المتوازنة .. بل وحتى بعثرتها بطريقة تتواءم مع بعثرة .. وخراب الحياة من حوله .. وفقده وطناً لا تليق به كل أكاليل الورد المتعارف عليها ..لذا اختار له إكليلا من الموسيقى لجدارته باستحقاق هذا الإكليل .. إنه الوطن الذي يهب الحياة صوتها النقي كثرثرة ينبوع ..لغتها الناعمة ككف نسيم .. حضورها المواسي كحضور قمر أمام منزل مستوحشٍ. إن جثة بيانو « جواد الحطاب» هي جثة وطن عرف بأنه وطن أمام كلام عادي لاعلاقة له بالشعر.. بل هو الأقرب إلى مشهد مسرحي ممكن أن يؤديه ممثل قد لا يجيد سوى الإلقاء.. لكن وفي نهاية عرض الشاعر هذه القائمة الطويلة من أسماء خلفاء « بني العباس » المتأخرين .. يفاجئنا بضربة شعرية تسحب كل الأقنعة عن ذلك التاريخ المشوّه لتلك الأسماء .. إنها ضربة شعرية ينتصر فيها الشاعر « لألهنا» الذي اتخذه التاريخ شماعة لأخطائنا التي لا يمكن أن يغفرها الرب :

« المتوكل على الله
المنتصر بالله
المستعين بالله
.....
.....
..... الخ
« ... يا!!!!!! ه
تضحكني هذي الأسماء
أربٌ هذا
أمْ: شماعة أخطاءْ ... ؟

أن الشاعر في قصيدته هذي يعمد إلى عملية تفكيك التاريخ ..وهو لا يكتفي بأحداثه المزاحة زمنياً..بل يتناول التاريخ من حيث هو منتج اجتماعي وسياسي لا ينتهي عند حدود فترته المنقرضة .. حيث يتسلل إلى أكثر حلقات حياتنا المعيشة حساسية وحراجة ليسبب لها عطباً فادحا .. وكأن الغابرين لم يكتفوا بما أحدثوه من كوارث وفتن دامية في زمنهم، لذا راحوا يلاحقون زمننا كما تلاحق ريح شرسة غيمة رقيقة لتعتصر آخر قطرة مطر فيها .. وتتركها يابسة مجدبة كحقل مجدب .

والشاعر كمبدع لابد له من أن يختار في قصيدته الأولى من التاريخ أكثر مناطقه قربا ً من وعيه واهتماماته.. من هنا كان اختياره « للمتنبي» ضحية من ضحايا تاريخنا الذي يختص بتدمير كل ماهو جميل وباهر في الحياة ليجعل منه معادلهً الإبداعي الذيً يربط بين مرحلتين مفترقتين زمناً .. وملتقيتين منتجا.. وهكذا فأنه يقدم معالجة باهرة.. وكشفاً معرفياً متقدماً للدوامة الحياتية التي كان» المتنبي «ضحيتها ..كما كان الشاعر هو الآخر ضحية عصره وكأنً تاريخنا يكرر دورته الزمنية باستمرار، ففي حين دمر « المتنبي « حياته من أجل « إمارة « .. دمر الشاعر حياته من أجل ترويض جنون التاريخ العراقي الذي يتناسل طغاة وقتلة ولصوصاً..وهكذا يكثف كل ثيمات قصيدته بهذه الأمنية الممتنعة على التحقق :

« لو كنتُ مكان « المتنبي «
لوضعتُ الأمراء جميعاً في الحمّام
وسحبتُ» السيفون «
طويلاً ... «

وبمرافقة إبداعية رائعة يلاحق الشاعر تحولات « المتنبي « من خلالنا نحن حفدته .. فيقدمه وكأي واحد منا .. وبسخريته التي يمارسها في الحياة كما يمارسها داخل الشعر .. ليراه مرة « مذيعاً عند الحمدانيين مختصاً ببيانات الحرب على بيزنطة «..ومرة « يبيع الهمبركر في صالة ماكدونالد « وأخرى « عارض أزياء « أو « عاملاً في مطبخ فندق « .حتى ينتهي على يد فاتك كما انتهى وينتهي حفدته على يد سلالة «فاتك « . وهذه رؤية شعرية خالصة إلى أبعد حد .

وفي تناص شعري متطابق بين قصيدته « إبراهيم آخر « والنص القرآني الشريف يستحضر الشاعر أيام الحرب التي ظلت تتناسل حروباً ظاهرة ومستترة حتى يومنا هذا من خلال رفيقه في الملجأ « إبراهيم « الذي يقود مخيلته الشعرية إلى محنة « النبي إبراهيم « في فجر تفتح وعيه الكشفي .. وبدايات فلسفته المتشككة وهو يبحث عن « إله « متفرد في كينونته ..

لقد استبدل الشاعر حضور ليل « النبي إبراهيم « بحضور ليل « إبراهيم الآخر «المدجج بالقصف مستفيداً من الآية الشريفة « فلما جن عليهِ الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال إني لا أحب الآفلين «.وكما تبدأ تحولات وعي « النبي إبراهيم « الرؤيوية في البحث عن « إله « لا يشابهه شيء .. ينفتح وعي الشاعر من الزاوية ذاتها محققاً إفادة بنائية من النص القرآني تدعم موضوعته الشعرية .. لينتج نصاً شعرياً متفردا في دلالاته.. وتأثيره في استدراج اللغة إلى أكثر حقولها إنفتاحاً..وتألقاً :

« فلما جنّ علينا القصف
رأينا طائرةً
قلنا هو ذا الرب
فلما ضربتنا
قلنا نحن براءْ
حاشا أنْ ينزل فينا الربُ..
كتاب قنابله .... «

وكما هي تحولات وعي « النبي إبراهيم « عبر رحلة بحثه عن « الإله « المتفرد من خلال الكوكب والقمر والشمس حتى وصوله إلى الكشف النوراني الكلي .. كذلك تبدأ تحولات وعي الشاعر مستعيناً بخطى هذا « النبي « الفذ في قدراته الذاتية التي أوصلته إلى الرسو عند شاطئ السلام النفسي المطمئن بعد أن يكتشف ألهه الذي لايأفل.

فمن الطائرة يتحول إلى « النصب « المتربع فوق سنام الغيم .. إلى التمثال الجميل الذي لا عيب فيه سوى أنه يحمل معنى « أمريكا «.. إلى» الجنرالات « وبسقوط كل هذه العلامات المضللة تحضر اللغة منتجاً إنقاذياً ينتشل الشاعر من حيرته :

« – ... عماذا تبحث يا إبراهيم..؟
أبحث عن ربْ
يندس بورده
وينام كطفل ... «

في مرثيته « للجواهري « يواصل الشاعر سفره في تخوم مشهد تاريخنا الجنائزي ليقدم نصاً ملحمياً جديراً بملحمة حياة الشاعر .. هذه الحياة التي كثفت بداخلها وطنا أسمه « العراق « الذي يتحدر من قمة جبل .. ولا ينتهي عند مياه البحار الغامضة ..

في نصه هذا يستخدم الشاعر بنائية تقترب من بنائية النص المسرحي المتعدد الأصوات .. حيث يبدأ المشهد الأول بصوت المتكلم»:

« لم أرب من قبل حماماً
من أجلك –أنت فقط – ذهبتُ»لسوق الغزل
«
واشتريت مائة طير زاجل
وأطلقتها باتجاه مقبرة الغرباء ... «

ويظهر صوت الشاعر الغائب مسيجاً بمربع وكأنه خلفية استعراضية تدعم النص وتثريه ..وتمهد لظهور صوت الجوقة في النص الأصلي وهي تنشد :

« أعود خيار ذابل
وضعك المشيعون بسلة مقبرة الغرباء
من دون كتائب خيالة
دون نشي..... جٍ وطني
نجهش بعده بالتصفيق .... «

وهنا يقدم الشاعر» قلباً إيهامياً « للشطر الشعري يصدم توقعات المتلقي .. فيقلب كلمة « نشيد وطني « إلى « نشيج ... « و « ونضج بالتصفيق « إلى « نجهش « ليرتفع بلغته إلى مستوى الحدث الصادم المتمثل برحيل..

« هذا الجبل « .

في قصيدته « أحد عشر كوكباً « يعاود الشاعر تناصيته مع « القرآن الكريم» وهنا يتخذ من قصة « يوسف « إطاراً فنياً لهذه التناصية ولكن بطريقة لا تكشف عن نفسها مباشرة كما في قصيدة « إبراهيم آخر «.. حيث جزأ الشاعر قصيدته إلى « أحد عشر جزءاً « وهي قصائد قصيرة جدا حققت تناصيتها من خلال مكابدات « يعقوب « وولده « يوسف» والتي أسقطها الشاعر على مكابداته الذاتية .. لكنها تنفصل عن تناصيتها المفترضة في نهاية النص.. فإذا كانت مأساة « النبي يعقوب « تنتهي بجمع الشمل .. وعودة الغائبين .. فإن مأساة الشاعر تتكثف في النص الحادي عشر .. لتتحول إلى نداء أخير بطلب « النجدة « . :

« النجدة
أل .. نج .. د .. ة
من ينقذني الليلة
من بلطة طفل مجنون
يتمرد في أعماقي الآن ... ؟ .

في الجزء الثاني من الكتاب تسيطر محنة « العراق « المحتل على جلّ نصوص الشاعر وهو هنا لا يقدم نصوصاً منفعلة .. وشعارات صاخبة .. بل يترك سخريته السوداء تصل إلى ذروة إفادتها من التلاعب باللغة .. وإزاحة كل ماهو عقلاني فيها لأنه يقف أمام حالة تقع خارج المعقول والمنطقي .

وتتجلى سخريته هذه من أول نص يحمل عنوان « ثوم على الأمة .. جاجيك على الأيام «.. إنها السخرية التي تتمرد على الفن حيث يتكئ في هذا النص على العادي والمألوف.. الذي ينفرد بتأسيس بنيته الجمالية الخاصة التي تلغي الحدود الفاصلة بين الشعر واللاشعر..مادام كل ما يعرضه الشاعر عبر نصه هذا موغلاً في خرابه .. ولا معقوليته .. ورائحته التي تزكم الأنوف.. إنه الفراغ والخواء الذي يتحرك فوقه النص ..والمنسحب من واقع موغل في غرائبيته وتناقضه.. والذي يلتقي بكل حميمية عند نهاية الخط الفاصل بين الحياة واللا حياة .. فليست هناك أية مفارقة معرفية ..أو وظيفية بين « أبو داوود « عامل مقهى « حسن عجمي «ومحل « القيمقجي « لبيع الأسطوانات.. و « رأس مال ماركس « وهذا الحشد من الشعراء المتنعمين بحزن منافيهم السعيد .. و « شكسبير « في شعاره الذي صححه الشاعر من « تكون أو لا تكون « لينسجم مع لغة عصرنا التي تقول :

« تكون ... تكون « .. إنها كوميديا أيامنا السوداء التي تطحن الشيء ونقيضه في الأداء الوظيفي في الحياة وفي الفن:

« أيها الثوريون
ماذا أفعل « برأس المال «
حين يكون رأس وطني مطلوباً... ؟
أيتها المعارضة «
ماذا أفعل بإذاعة « المستقبل «
وحاضر أطفالي محكوم بالموت ... ؟

في قصائد الديوان التالية يحضر الوجه القبيح « لأمريكا « وتنهض قامة القصيدة المقاومة .. التي تحاور « رامسفيلد « وزير الحرب الأمريكي :

« أنا لي وطن في وطني
فهل لك في وطني وطن «

وفي قصيدة «عراقستان « يستعرض هدايا « أمريكا « لأهلنا العراقيين «

« نحن جياع العالم
الموت المهدى منك إلينا
بصواريخ كروز
توما هوك
بقذائف ...
يعد رفاهيةً .

ويواصل الشاعر سخريته التي تبكينا عبر جميع قصائد القسم الثاني من الديوان ..ولعل أكثرها وجعاً ماهو متحقق في قصيدة « ياوطني دعني أقبل شجاعتك».

« السرفات ليست في الشوارع
السرفات على قلبي ... «

أو في قوله :

« أيتها الحرية
اطمئني
إننا نحرز تقدماً ملحوظاً في الاحتلال ..».

أو في هذا المقطع الذي حملت القصيدة عنوانه :

« وطني أيها المهزوم
دعني أقبل شجاعتك ... «

إنّ « إكليل موسيقى على جثة بيانو « هو مرثية وطن تستنهض الحياة من جدث عتيق .. وترتق ضوء قمر طاعن في عتمته .. إنها صوت الشعر الاستثنائي الذي يولد مع الكوارث والمحن هذا الصوت الذي يصنع مسراته من أكثر أحلامه نزفاً .. ليجعلها تشرق ثانية على موت مسرتنا ..

النحت العراقي .. وروح المادة الأولى

خالد خضير الصالحي

تثير منحوتات نصب الحرية المنجزة بمادة البرونز في نفسي حقيقة ان البرونز مادة مخادعة او ذات قدرات استثنائية من أهمها قدرة الإبقاء على آثار المادة الأولى، او روح المادة الأولى التي صنعت منها المنحوتة، هذه الروح التي تماثل ما سبق وكررته مرات بشان بقاء العلامة الأولى المشخصة في الرسم كامنة في بنية اللوحة مهما أوغل الرسام في إجراء الأسلبة التي تبدو وكأنها تغير من طبيعة تلك العلامة الأولى باتجاه محوها؛ ما يجعل روح العلامة الأولى باقية لا يمكن محوها من اللوحة..، ففي نصب الحرية ظلت روح المادة الأولى (=الطين) كامنة في المنحوتة تظهر من خلال آثار أصابع النحات التي مازالت بقاياها مؤثرة في سطح البرونز، وكذلك آثار أدوات النحات واضحة كبصمات على جسد المنحوتة، فقد قام جواد سليم باقتطاع أجزاء من جسد حاملة المشعل التي تتوسط النصب بشكل مازال يحمل مرونة الطين، وهي واحدة من أهم البصمات (=العلامات) التي وضعها جواد سليم لترسيخ الصلة السيكولوجية بين المتلقي وبين المنحوتات، وبينهما معا وبين مادة الطين، فلم يحاول جواد سليم إخفاء مادته الأولى رغم انه صنع النصب ليتخذ الأخير جسد مادة أخرى هي البرونز،لقد ترك كل آثار وبصمات يديه فاعلة لا بهدف ان يكون التمثال مصنوعا من مادة البرونز بل بهدف ان يكون التمثال مصنوعا من البرونز ولكن بروح مادة الطين، وهو ما فعله النحات محمد غني حكمت وهو ينجز تمثال المتنبي حينما صنعه من الطين ليبقى محتفظا بروح مادة الطين حتى وان تحول إلى مادة قاسية مختلفة هي البرونز؛ وبذلك فقد حاول النحات محمد غني حكمت على سمتي الرقة والقسوة معا، رقة الشعر التي كرستها آثار مادة الطين، وقسوة الصحراء التي سيكرسها البرونز بعد صبه، عكس تمثال كهرمانة الذي أنجزه محمد غني حكمت تمثالا برونزيا أولا وأخيرا حيث تفتقر الشخصيتان المنحوتتان إلى رقة الطين، وهي مفارقة غريبة في بابها.

ان تجارب كاملة يمكن ان توصف بأنها تجارب نحت تحمل روح الطين، بينما تحمل تجارب أخرى روحا قاسية ربما تنتمي إلى البرونز او الحجر، فلم تكن العديد من منحوتات رودان تحمل روح المادة الأولى وبدت منحوتات كأنها صنعت أولا وأخيرا من مادة البرونز، بينما يمكن وصف تجربة جواد سليم بأنها تجربة نحتية تحمل روح مادة الطين التي تظل عالقة في وجود المنحوتة مهما كانت المادة التي صنع منها التمثال، فحتى تماثيله الخشبية تحمل (مرونة) الطين، وهو ما نجده في أهم سمات تجربة النحات إسماعيل فتاح الترك او النحات المصري محمود مختار في ابرز أعماله المنحوتة بالحجر، فيبدو تمثاله الشهير (رياح الخماسين) وكأنه منحوتة طينية جافة، فالتمثال هنا يتنكر لمادته الحقيقية، ويحاول الانتماء إلى سحر المادة الأولى.

متابعة

في جمعية الثقافة للجميع أنقلاب ١٩٦٣ في النص القصصي العراقي

محمد جابر أحمد

نظمت جمعية الثقافة للجميع على قاعة فؤاد التكرلي يوم الخميس ٥ / ٢ / ٢٠٠٩ ، ندوة ثقافية بمناسبة أنقلاب ٨ شباط الأسود تحت عنوان « العنف وأنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في النص القصصي العراقي « بحضور متميز للأدباء والكتاب والقنوات الفضائية والأعلاميين والمثقفين المداومين على حضور جلساتها الأسبوعية ، وقام بأدارة الندوة الشاعر علي العقابي حيث تحدث عن الذكرى المسماة أنقلاب ٨ شباط الأسود بما يختزنه الشاعر في ذاكرته وماتختزنه الذكرى من مأس مر بها الشعب العراقي والأدب الروائي والقصصي كونه مرآة لهذه الاحداث، وجاء في كلمته « ٨ شباط عاشها أبطال واقعيون ربما هم معنا الآن وربما غادرونا الى المنافي لتبقى كتاباتهم تسجل ما حوته تلك الثورة من تأثير على المنجز العراقي القصصي والروائي ..» ثم دعا الدكتور عبد جاسم للحديث عن موضوع الندوة قائلاً « أقدم لكم الدكتور عبد جاسم وهو من الذين شاركوا في أضراب عمال الزيوت في ٥ / ١١ / ١٩٦٨ ، حيث أعتقل وعذب ... وله تجارب مع هذه الأحداث التي مر بها العراق فهو مناضل يساري وله مواقف مشهودة في العمل الوطني ...» .وبعد ذلك تحدث الساعدي بعد ان رحب بالحضور الكرام عن وجهة نظره قائلاً « كان يمكن أن تكون ٨ شباط موضوعاً مهماً لدراسات نقدية حقيقية وأن تكون موضوعاً لدراسات علمية دون أنحياز لأنها قاسية وصعبة في العنف الذي مارسه البعثيون وماولدته من أشكال للعنف عديدة برزت في العمل القصصي والروائي العراقي والكتاب الذين عاشو تلك التجربة منهم على سبل المثال (طالب شبيب) (هاني الفكيكي) في كتابه (أوكار الهزيمة) وآخرون) وقد تحدد بحثه بجانبين : الأول بعد ذلك العنف في الثقافة العراقية، والجانب الثاني ماهي العلاقة بين هذا العنف والأدب القصصي والروائي ، تحدث بعد قراءته لبعض النصوص التي تمثل شهادات من عاصروا الأحداث وكتبوا عنها ،و أستطرد ببحثه في الروايات التي تناولت تلك الحقبة وهو بحث نقدي أكاديمي يعالج الأسلوب السردي وأختلافاته بين الروائيين حيث يركز السرد أما على الواقعة أوالتجربة الشخصية وأهمل التصوير الداخلي للأبطال ،و في نهاية بحثة أكد اننا بحاجة الى تحليل علمي بعيداً عن التحليل السياسي ، حيث أن الأدب القصصي في العراق لم يصل بعد الى السمات الفنية بحيث طغيان الجانب السياسي والأنتهازية في النقد .. ثم تحدث الناقد سعد مطر قائلاً : أن تصوير العنف هو كتصوير الحياة هناك تصوير شكلي وهناك تصوير جمالي ، وأن على الكاتب اليوم معالجة هذه الأوضاع التي مررنا بها فنحن نعيش الآن بعصر حرية ، وأن يكون للثقافة دور في تفكيك العنف ..» ثم تلاه الروائي موسى الهاشمي الذي تحدث عن مشاهداته التي منعته الأوضاع السياسية القاهرة من الكتابة عنها ، قائلاً «وبسبب طول هذه المدة فلم نجد رواية تتحدث عن تلك الفترة» ، وأكد أن الأدب لايتطور الا بوجود الحرية..»وركز المتحدثون على هذه النقاط التي تم طرحها فيما يتعلق بأنقلاب ٨ شباط من حيث تأثيره على الواقع العراقي عموماً ومجالات الكتابة الروائية والقصصية وغيرها ، و طالبوا بضرورة تحليل المشهد وإعادة النظر بتاريخ الأدب الروائي والقصصي وأن لايتعامل النقاد مع النقد بطريقة مجانية وإنما بقراءة تحليلية غير أيديولوجية ..وضمن المتداخلين كانت السيدة سافرة جميل حافظ حيث تساءلت « كم من الناس ستصحو ضمائرهم ليعتذروا عما فعلوا بالشعب العراقي ؟ وإضافت أن ما فعله البعثيون في سراديب قصر النهاية لايمكن أن يغتفر.. وختمت كلمتها بأنها تنتظر ان تختمر النصوص التي كتبتها عن تلك المرحلة لتنشرها في فضاء هذه الحرية التي نعيشها أو التي نسعى إليها. وفي الختام حيا الشاعر علي العقابي الحضور على مشاركتهم الفاعلة وكلماتهم الصادقة.

صدور المجموعة الشعرية الاولى للشاعر حسام السراي

بغداد/المدى

عن دار الفارابي ببيروت،صدرت مؤخراً،المجموعة الشعرية الأولى للشاعر والاعلامي حسام السراي بعنوان(وحده الترابُ يُقهقه)،المجموعة الجديدة تقع في ٧٢ صفحة من القطع المتوسط،وتضم ٢٢ قصيدة مكتوبة بعد العام ٢٠٠٣،وجاء في قصيدة (وحده التراب يقهقه):«كيف برؤوس منحنية ؟/ كيف بأصداء ودماء تتقطر من اكتاف مُعصوفة /بلا اثر لسياط/مُابعدهً سكون/نعم س ك وً ن/ فضوضاءُ الأشياء/وبعثرةُ الانس/يخنقها الصمتُ. وحده الترابُ يقهقه/محتسيا نخب التناثر لأدمغة جديدة /ونحنُ نكثف رزمنا للهواء/فالحصصُ والثرواتُ ستصحو قريبا».

وكتب على الغلاف الاخير للمجموعة:«لا الجحيم مات،ولاالقصيدة اخذت الخلود في احضانها،كذا الشاعر لم يسرع البكاؤون في حمل موكبه الجنائزي،وتأخر قطاف النحيب على موت جسده...»

وحسام السراي،شاعر واعلامي عراقي،حاصل على بكالوريوس من كلية الهندسة جامعة بغداد،نشر قصائد ومقالات عدة في صحف ومجلات عراقية وعربية ،عمل معدا لبرامج ثقافية في اذاعات وقنوات تلفازية عراقية،عمل محررا في صحف بغداد،الصباح،طريق الشعب،المراسل الثقافي للوكالة المستقلة للانباء(أصوات العراق) في بغداد،عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق،عضو نقابة الصحفيين العراقيين،عضو في منظمات وتجمعات ثقافية مختلفة،شارك في عدد من المهرجانات الشعرية:مهرجان الجواهري الثالث ٢٠٠٥،قراءات شعرية على هامش مؤتمر عمان الثاني لثقافة اللاعنف ٢٠٠٧،مهرجان المدى السادس ببغداد ٢٠٠٨.